الملك عبد الله وبناء الخير

الملك عبد الله رجل موفّق وميمون الطالع، يحبه الله ويحبه الخلق. منذ أن اعتلى سدّة الحكم والبلد يسير بفضل الله وتوفيقه من حسن إلى أحسن. لقد قطعنا في هذه المدة القصيرة التي انقضت على تسلمه، حفظه الله، مقاليد الأمور مساحة شاسعة من التطور وحققنا الكثير من الازدهار.

هذا العهد الزاهر الذي نعيشه الآن هو عهد الرخاء والنماء والتفاؤل الذي يعم أرجاء البلاد، من أقصاها إلى أدناها. لم تجتمع أفئدة الناس، أميرهم وغفيرهم، كبيرهم وصغيرهم على حب شخص مثل ما اجتمعت على حب الملك عبد الله، فالكل يحس بهذه الألفة معه والارتياح له والقرب منه. ومن دلائل حب المولى وتوفيقه لهذا الملك العادل أننا لم نر في عهده عملية إرهابية واحدة ينجح مدبروها في تنفيذ مخططهم، بالرغم من كثرة المحاولات اليائسة التي باءت كلها ولله الحمد بالفشل، هذا عدا ما نعيشه من استقرار سياسي وأمن داخلي ورخاء اقتصادي غير مسبوق.

لم يعد الراصد والمتتبع للأحداث بقادر على متابعة ما يتوالى بصفة شبه يومية على هذه البلاد في هذه الأيام، من برامج الإصلاح ومن مشاريع الخير والتعمير والبناء، من بناء المساكن الشعبية للمعوزين الذين امتدت يد الملك الرحيمة لتنتشلهم من ذل العوز والفاقة.. إلى بناء جسور العلاقات الندية والأخوية مع عمالقة العالم من أمثال الهند والصين، الذين لا يستهان بثقلهم الاقتصادي وحضورهم المؤثر في الساحة الدولية. هذه إحدى ميزات الملك عبد الله وواحدة من خصاله الحميدة، فهو لا تلهيه عظائم الأمور والمهام الجسام عن صغائر الحاجات ومتابعة احتياجات المواطنين البسطاء.

يعلم الله أنني لم ارتد مجلسا من مجالس العامة والخاصة ويرد فيها ذكر الملك عبد الله إلا والجميع يمدون أيديهم متضرعين يلهجون بالدعاء إلى العلي القدير أن يمد في عمره، وأن يديم عليه لباس الصحة والعافية، وأن تطول أيامه ليقود هذا البلد إلى مرحلة متقدمة من التطور الكيفي، وإلى قفزة نوعية في الإصلاح الاجتماعي والسياسي لا رجعة فيها. الكل يعلق آمالا عراضا على ما يتحلى به أيده الله من انفتاح لا يفرط بالثوابت، ومن تسامح لا ينقصه الحزم، ومن تواضع تجلله الهيبة والوقار. لم يعد المستقبل بالنسبة للشعب السعودي غامضا مجهولا، بل بدأت تلوح في الأفق القريب تباشير فجر جديد ومستقبل واعد. كثير من الأحلام التي كانت بالأمس القريب بعيدة المنال أصبحت اليوم وعودا على وشك التحقيق في الأمد المنظور.

لندرك مدى تأثير الملك عبد الله وحضوره الفاعل على الساحة الدولية ومدى الأهمية التي وصلت لها المملكة في ظل قيادته، بعيدا عن البترول واقتصاديات البترول، علينا أن نتذكر بأنه هو الذي قدم مبادرة السلام العربية في قمة بيروت، والتي لا تزال من أهم الخيارات المطروحة لتسوية النزاع العربي الإسرائيلي. ولا ننس أيضا أنه من أكثر المتحمسين شخصيا لحوار الحضارات وتشريع أبواب الحوار البناء والتفاعل المثمر والتفاهم بين الشعوب.

ومرة أخرى نجد اهتمامه بالقضايا الكبيرة لا يثنيه عن الالتفات للمسائل البسيطة، مثل محاولته تخفيف الآلام والمعاناة عن من تقطعت بهم السبل وسدت في وجوههم الأبواب من المحتاجين والبائسين، فيأمر بعلاج هذا المريض وفصل ذلك التوأم وإغاثة ذلك المنكوب، فيأتون من كل أصقاع الدنيا وأرجاء المعمورة، طمعا في رحمته واستدرارا لشفقته التي لا تفرق بين عرق وآخر ولا بين شعب وآخر، حتى استحقت المملكة بهذه الأعمال الخيرية لقب مملكة الإنسانية، وما أجمله وأروعه من لقب.

لغته الواضحة وسريرته الصافية وعفويته التلقائية وشخصيته النقية التي لا تشوبها ذرّة من التكلف والتصنع، كلها أمور تبعث على الثقة والأمان والاطمئنان. منحه الله بسطة الجسم وهيبة الحضور وملامح العزة وسيماء الفروسية وأمارات النخوة والشهامة.. جَمَع في أقواله وأفعاله، في مظهره ومخبره خلاصة الشيم النبيلة والقيم العربية الأصيلة، وهذا ما يبعث على التفاؤل ويحيي الأمل في النفوس ويعيد الثقة في الشخصية العربية وفي العنصر العربي وفي المستقبل العربي، في زمننا هذا، زمن الإحباطات المرة والنكسات المتتالية.

البروفسور سعد الصويان

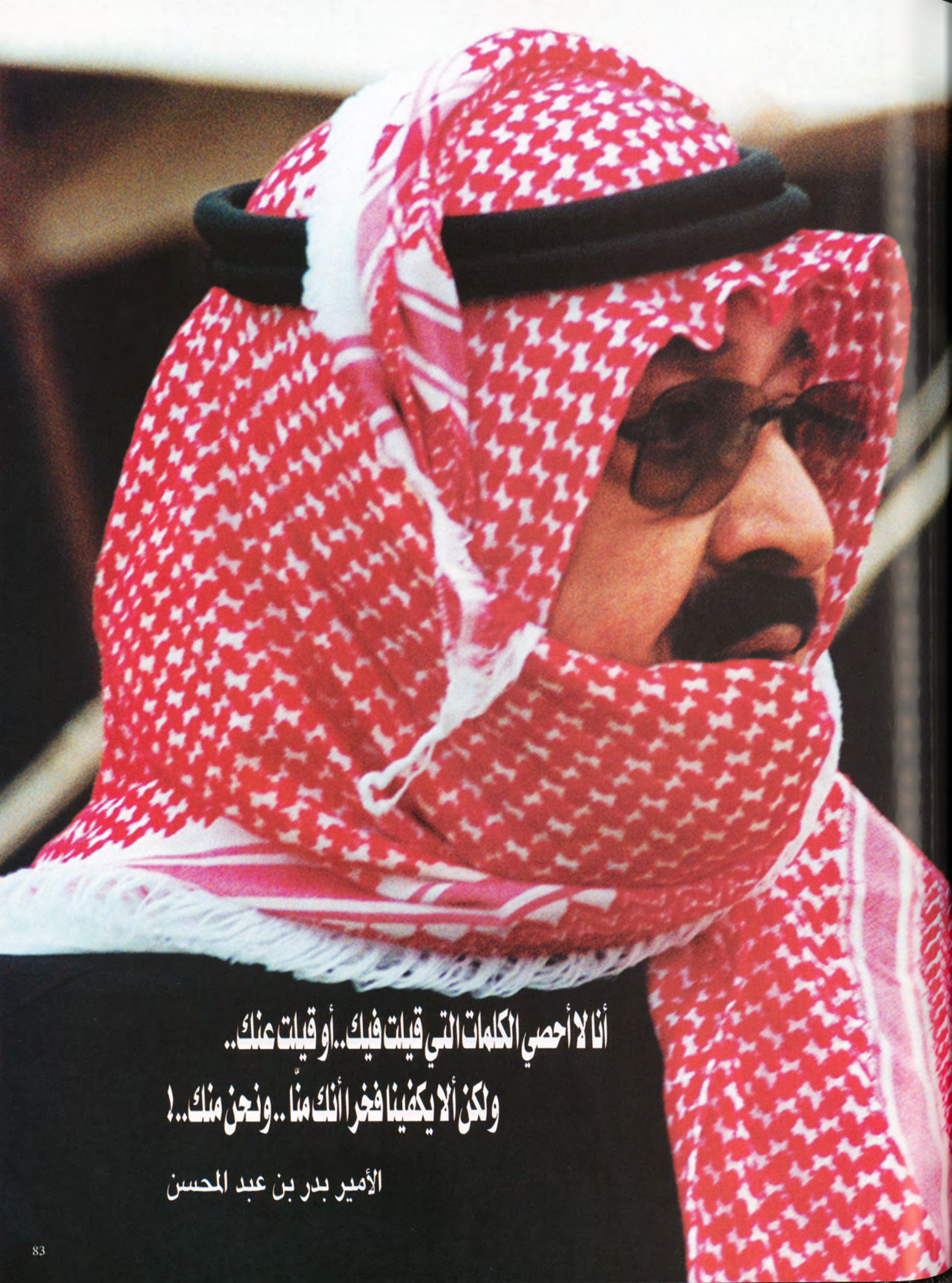

أنا لا أحصي الكلمات التي قيلت فيك..أو قيلت عنك..
ولكن ألا يكفينا فخرا أنك منّا..ونحن منك..!

الأمير بدر بن عبد المحسن